المحاضرة الحادية عشر سيميولوجيا الخطاب البصري

تهتم سيميولوجيا الخطاب البصري بفهم و تحليل الرسائل و الرموز التي يتم نقلها عبر الاتصالات البصرية مثل الضوضاء و الوسائط المرئية المختلفة , على غرار الإعلانات ,الأفلام , اللوحات الفنية ,و الصور الفوتوغرافية ...,كما تحاول الكشف عن كيفية استخدام العناصر البصرية لنقل المعاني و الأفكار و المشاعر , و ماهي الرسائل الخفية او الصريحة التي تحملها هذه العناصر , لفهم النظام الدلالي الذي تنهض عليه الصورة بمختلف أنواعها و تمظهراتها ,فالصورة في العصر الحالي صارت رهانا متعدد الابعاد و صناعتها لم تعد مثل سابق عهدها مقتصرة على مسالة الذوق او المزاج ,بقدر ما تحولت لألية من الاليات المعروفة التأثير في الجماهير و توجيههم و تشكيل راي عام ,و يلجا اثناء صياغتها لاستراتيجيات معقدة تهدف الى تشفيرها بشكل يتطلب ملكة خاصة و أدوات منهجية مبتكرة لفكها بشكل امثل ,و في هذا الشأن تقول احدى الباحثات و الواقع ان استعمال الصور ينتشر بشكل متسارع ,و سواء شاهدناها او صنعناها , فنحن مدعوون يوميا لاستعمالها ,و لفك سننها codes و لتأويلها ,وهو ما تسعى اليه سيمولوجيا الخطاب البصري .

مفهوم الخطاب البصري

يعد الخطاب البصري شكلا من اشكال الاتصال البصري فهو عبارة عن عملية تبليغ المتلقي برسائل معينة عبر الوسائط المرئية , و الصورة هي المكون الأساسي في الخطاب البصري لانها تعد لغة بصرية تواصلية و شكلا من اشكال التعبير فالصورة الواحدة تعطينا عدة دلالات و معاني , كما ان الخطاب البصري من اهم أنواع الخطابات التي تحتل مكانة بارزة في الدراسات المرئية و السيميولوجية خاصة في عصرنا الحالي ,اذ يجمع بين مصطلحين الخطاب و الصورة [1].

و الخطاب بشكل عام هو عبارة عن تواصل لغوي يتم من خلاله إيصال فكرة او رسالة ما بين طرفين من المتكلم الى المستمع بعدة وسائل اما رموز او الفاظ او ايماءات او غيرها اما خطاب الصورة يتم من خلاله ابلاغ عن رسالة عن طريق الصورة ,فيعرف على انه "نسق سيميولوجي دال يتظاهر و يتفاعل فيه ماهو لغوي بما هو غير لغوي اذ انه يتشكل من علامات ايقونية و أخرى لسانية , و تستند هذه العلامات على وحدات صغرى , تقوم بنسخ عدد من العلاقات فيما بينها لتأدية الخطاب البصري , بمعنى انه يجمع بين كل ما هو لساني و غير لساني لغرض فهم الصورة و ما تحمله من دلالة[2] .

---

[1]سعيد بن كراد ,السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها ,ط2, دار الحوار للنشر و التوزيع ,2014 ص 144

[2]بشير ابرير ,دراسة سيميائية في تفاعل الانساق اللسانية و الايقونية ,الملتقى الدولي الخامس ,مخبر أبحاث اللغة العربية و الادب العربي ,جامعة بسكرة ,2000,ص6

➢ **علاقة السيميولوجيا بالصورة :**هناك علاقة قوية جدا بين الصورة و السيميولوجيا ,فالمنهج السيميولوجي يعتبر من اكثر المناهج قدرة على كشف ماهية الصورة بكافة أنواعها ,سواء في مجال اللغة او في مجال الفنون البصرية ,اذ يتسع بطبيعته لدراسة كل ما هو لغوي و كل ماهو بصري ,فالصورة تعتبر احد اهم مجالات التطبيق السيميولوجي بوصفها ابهارا بصريا متحركا و منتجا لدلالة التي تفوق دلالة الكلمة في سياقها .[3]

➢ **الصورة من منظور سيميولوجي :**في الاصطلاح السيميولوجي ,تعد الصورة نوع من العلامة و العلامة في ابسط معانيها شيء مادي (الدال) يستدعي الى الذهن شيئا معنويا (مدلول) ,فهي كيان مزدوج البنية له جانب مادي , و هو الدال الذي قد يكون سمعيا او بصريا او لمسيا , و جانب اخر معنوي هو الدلالة ,و هذه الدلالة هي ما يكسب الصورة أيا كان نوعها قيمة سيميولوجية ,و تنطوي الدلالة في الصورة مثل معظم العلامات السيميولوجية الأخرى على قدر من الغموض ,

و قد عرف الباحث "صلاح فضل " الصورة على انها "علامة دالة تعتمد على منظومة ثلاثية من العلاقات بين الأطراف التالية :**مادة التعبير** و هي الألوان و المسافات و **اشكال التعبير**هي التكوينات التصويرية للأشياء و الأشخاص ,**و مضمون التعبير**و هو يشمل المحتوى الثقافي للصورة من ناحية و ابنيتها المشكلة للمضمون من ناحية أخرى "فالصورة و التعبير يجمعهما صلة وطيدة من حيث مضمونه و شكله ,من حيث الدلالة السيميائية تكون الصورة اكثر تعبيرا و توضيحا من الكلمات اللغوية يعني ان الصورة واحدة تعطينا دلالة و تأثير خير من الف كلمة (كما يقال).

مكونات الخطاب البصري

يتكون الخطاب البصري من نسقيين متلازمين هما النسق اللساني او اللغوي و النسق الايقوني او البصري الرمزي [4].

- **النسق الايقوني :** و يتولد من الصورة التي تتميز بحضورها الاجتياحي , الغرض منها التأثير في ذهن المتلقي ,و يكتسي النسق الايقوني الأهمية البالغة نظرا لوظائفه المتعددة التي تختص بالتشكيل الفني , و يمكن اختزالها في النقاط التالية :

ا– الوظيفة الجمالية :ترمي الى اثارة الذوق قصد اقتراح البضاعة (الصور الاشهارية مثلا)

ب–الوظيفة التوجيهية : الصورة فضاء مفتوح على كل التأويلات لهذا تكون مرفوقة في اغلب الأحيان بتعليق لغوي يطول او يقصر , و في هذا الاطار تحيلنا الصورة الى قراءة النص الذي يثبت فيه الداعي أفكاره و حججه

---

[3] Jean claude fozza ,pretite fabrique de l image,édition Magrand,paris,2003,p12

[4]جورج سادول ,العناصر الدالة للغة السينمائية ,ترجمة محمود ابراقن ,حوليات جامعة الجزائر , العدد10,1997ص185

ج- الوظيفة التمثيلية : تقدم لنا الأشياء و الأشخاص في ابعادها و اشكالها بدقة تامة , الشيء الذي تعجز عنه اللغة في كثير من الأحيان .

د-الوظيفة الايحائية : الصورة تعبير يغازل الوجدان و يغذي الاحلام لأنها عالم مفتوح على مصراعيه لكل التأويلات و التصورات ,و هي تحاور اللاوعي و توحي بمشاعر تختلف في طبيعتها من مشهد الى اخر .

ه- الوظيفة الدلالية :ان الوظائف الأربعة الأولى تتضافر لخلق عالم دلالي معين وهذه الدلالة تأتي نتيجة التفكير و التأمل الذي اسسته الصورة لدى المشاهد .

- **النسق اللساني :**و هو الذي يوجه القارئ نحو قراءة محددة و يربطها بين مختلف مقاطع النسق الايقوني لا سيما ان تعلق الامر بصورة ثابتة الا ان أهمية النسق اللساني تبقى رغم ذلك قاصرة ,و يتجلى النسق اللساني في البنية اللغوية للخطاب البصري الذي يتكون من المستويات الصوتية و الصرفية و الدلالية ,و هو بذلك يمثل اللغة و من مميزات النسق اللساني ما يلي :

-الاعتماد على التكرار و السجع

- استخدام الكلمات المألوفة لدى الجميع

- استعمال الجمل الاسمية اكثر من الجمل الفعلية

-استعمال الكلمات المحفزة التي تعطي ردود فعل المتلقي بأقصى سرعة .

-ابتكار الفاظ جديدة

-استعمال كلمات جذابة و مؤثرة في نفوس المتلقين .

-الاعتماد في بعض الأحيان على الاستفهام و النداء من اجل لفت انتباه المتلقي .

-توظيف التشبيه و الاستعارة و الكناية .

أنواع الخطاب البصري :

تعدد الخطابات البصرية و تتنوع ,نذكر أهمها فيما يأتي[5] :

[5]فهيم الشيباني عبد القادر , السيميائيات العامة أسسها و مفاهيمها ,ط1,منشورات الاختلاف ,الجزائر ,2010,ص 36

***الخطاب الاشهاري :** يعد صناعة إعلامية و ثقافية بأتم معنى الكلمة ,فيحظى باهتمام كبير في مختلف المجتمعات و خصوصا المتطورة منها ,لما يتميز به من قدرة عالية على بلورة الراي و تشكيل الوعي و في التأثير على الثقافة و توجيهها في ابعادها المختلفة الأخلاقية و الفلسفية .

***الخطاب الفني :**ارتبط الخطاب الفني منذ ظهوره بالأعمال اليدوية و لم ينظر له كفن يملك جمالية الا في اللحظة التي اصبح فيها نشاطا ثقافيا ,حيث انه عرف في بداياته الأولى كخطاب بسيط يحاول ان يماثل بين الحقيقة و الواقع و لم يكن سوى و سيلة للتصوير محاولة تقليد الطبيعة سواء بتشكيل بعض الايقونات او بخط بعض الصور على الكهوف و المغارات .فالهاجس الأول الذي ربط الانسان بالفن هو الخوف الدائم مما هو غيبي و سرعان ما تطورت و تيرة الحياة باكتشاف وسائل الاتصال من مطبعة وورق ووسائل اتصالية أخرى .

***الخطاب الفوتوغرافي :** هو عبارة عن علامة تمتلك بعض خصوصيات الموضوع الممثل في تحديده للأيقونة اذ ان هذا الخطاب يمتلك دلالة خاصة بامتزاجه مع الخطاب اللفظي الإعلامي فهدفه توصيل الرسالة من مرسل الى متلقي , باقل قدر من التحريف و التشويش الذي يقلل من مصداقيته ان اكتشف المتلقي ذلك ,اذ انه يخضع الى ضوابط خمسة من ؟ماذا ؟اين ؟متى ؟لماذا؟

***الخطاب السينمائي :**هو خطاب ابداعي فني و لغة خاصة توظف عدة عناصر لإنجازها الكاميرا ,سلم اللقطات , المؤثرات الخاصة , و المونتاج الذي يعد عملية هامة في انجاز هذا الخطاب و يتم بموجبه تركيب اللقطات لإنجاز جسم ذا معنى و دلالة "فيلم "

***الخطاب الكاريكاتوري :**هو نص سيميائي حسب السيميولوجين الذين يتبنون فكرة انه لا شيء خارج النص , و تعد الاشكال المحورة جزء لا يتجزأ منه , لها قدرة دلالية قادرة على بعث الفكرة في زمن قياسي مقارنة بالزمن الذي يستغرقه القارئ في ادراك اللغة , يتسم بالبساطة و التلقائية ,و هو خطاب مفتوح للمتلقي بغض النظر عن مستواه الثقافي .

خصائص الخطاب البصري :

ان مفهوم الخطاب البصري يعني الاتصال الحادث بين المرسل و المستقبل عبر وسيط مرئي بهدف تبليغه رسائل تنطوي على مضمون معين , فخطاب الصورة هو عملية تبليغ الاخر برسائل معينة عبر الصور ,و له عدة خصائص نذكر منها [6]:

–تتخذ دوال اللسان طابعا خطيا و تدرك حسب نظام تحدده الجملة غير ان الايقونة ينتشر في فضاء الخطاب البصري بحيث تغيب الخطية في ادراكه فادراك عناصره مسالة اختيارية متروكة للمتلقي ,فاذا كانت قواعد النحو و الصرف تحكم اللسان فان الخطاب البصري يتخلص من هذه القواعد .

– الخطاب البصري لا يقبل التقطيع المزدوج فهو عبارة عن وحدة شاملة لا تقبل التقطيع و هو عبارة عن ملفوظ و هذا يعني انه بإمكانه اقتراح عدة ملفوظات في الحدود الدقيقة للتوازن اللساني .

– إمكانية صنع الرموز و صياغة الدلالات و تجسيد القيم لما يحتويه من عناصر تعبيرية سواء تمثلت فيما هو شكلي او لوني ,او حجمي ,او جمالي و بهذا غدى مصدرا أساسيا لإنتاج و توظيف و تشكيل الوعي و الوجدان و السلوك .

–الاختصار و الشمولية و هما صفتان في الخطاب البصري الذي قد يختصر عدة صفحات من الكتابة في خطاب واضح و شامل .

– الخطاب البصري منفتح على عدة تأويلات و ذلك باختلاف قدرات المدركين و قد يحمل معاني مضمرة لا تحملها دواله ,و قد يزيف الحقيقة أحيانا خاصة في غياب السياق الادراكي ,

–الخطاب البصري و سيلة اتصالية اذ كشفت الدراسات المختلفة أهميته و دوره الاتصالي بل يتعدى ذلك ليكون عاملا أساسيا في تثمين العلاقات الإنسانية و تنمية الحس الجماعي و ذلك من

---

[6]محمد غرافي ,قراءة في السيميولوجيا البصرية ,مجلة فكر و نقد , العدد 13 عن الموقع http://www.aljabriabed.net/n13-08ghrafi.html

خلال الإحساس بألم الاخر (مثلا عند مشاهدة صور ضحايا العدوان الصهيوني على غزة),كما يمكن ان نثبت دوره الاتصالي من خلال المرحلة الابتدائية الإنسانية اين كان الخطاب البصري وسيلة انسان للتعبير عن حاجاته البيولوجية لأجل التواصل و الخطابات الموجودة في الطاسيلي دليل واضح على ان الانسان كان يتصل بواسطة هذه الرسومات التي بقيت حتى وقتنا الراهن لتأدية دورها الاتصالي مع الأجيال المتتالية و نفس الشيء يخص اللغات القديمة التي كانت عبارة عن رسومات صور مثل لغة الفراعنة و جدت لأداء رسالة اتصالية تجاوزت حاجز الزمان